

الطبقات الاجتماعية في المجتمع العربي (1)

شهد المجتمع العربي منذ بداية ظهوره ولحد الآن أنماط مختلفة من الأنظمة الطبقيّة التي رافقتها ظواهر طبقيّة معقدة مثل الصراع الطبقي والقهر الاجتماعي والانتقال الاجتماعي. لكل مجتمع بشري مهما كانت المرحلة الحضارية التي يمر بها نظام طبقي يتلاءم مع طبيعته الإيكولوجية وظروفه المادية ودرجة نضجه التاريخي والمؤشرات الموضوعية والذاتية التي تؤثر في بنيته الاجتماعية وكيانه الحضاري. فالمجتمع كما يقول (لبست وبنديك) مكون على شكل هرم توزع عليه الأدوار الاجتماعية المختلفة حيث توضع الأدوار الاجتماعية المختلفة حيث توضع الأدوار الاجتماعية القيادية والحساسة والعليا في قمته، وتوضع الأدوار المهنية والروتينية والمتوسطة في منتصف أضلاعه. بينما توضع الأدوار الاجتماعية الإنتاجية والعاملة في قاعدته.

وهذه الحقيقة الشاخصة هي التي ميزت المجتمع البشري من أقدم العصور ومازالت تميزه على أساس النظام الطبقي في المجتمع المعاصر. وترجع حقيقة إشغال الأفراد لأدوار اجتماعية مختلفة. هذه الأدوار التي تقرر مراكزهم الاجتماعية وانتماءاتهم الطبقيّة إلى اختلاف قابلياتهم ومواهبهم ورغباتهم واستعداداتهم على إشغال الأعمال والمهن، لأن تلك المؤهلات السابقة لا تكون متساوية وأن الأعمال والمهن التي يحتاجها المجتمع تكون مختلفة أيضاً. لذا والحقيقة هذه يتخصص أبناء المجتمع في المهن والأعمال التي يرغبون بها والتي تتلاءم مع قدراتهم وقابلياتهم، من هنا تحدد مراكزهم الاجتماعية ثم مواقعهم الطبقيّة.

إلا أنّ الأنظمة الطبقيّة التي تعرفها المجتمعات البشرية لا تكون على نمط واحد فكل مجتمع بشري نظامه الطبقي. وهذا يتحدد بدرجة نموه المادي والحضاري وبالمرحلة التاريخية التي يمر بها وبظروفه البيئية والقيمية والفكرية والسياسية والقانونية، فالنظام الطبقي كان ماثلاً في المجتمع القديماً مثل المجتمع الإغريقي والمجتمع الروماني والنظام الطبقي الإقطاعي كان ماثلاً في المجتمعات الإقطاعية الأوربية خلال فترة القرون الوسطى والنظام الطبقي والنظام الطبقي الرأسمالي هو النظام الذي كان وما يزال ماثلاً في المجتمعات الرأسمالية، أمّا النظام الاشتراكي الموجود في بعض الدول التي تطبقه فيسعى نحو إلغاء أسباب الطبقيّة والتمايز الطبقي والقضاء على ظاهرة الاستغلال الطبقي والصراع الاجتماعي.

أنَّ المجتمع العربي برمته والمؤسسات البنوية التي يتكون منها قائمة على مبدأ التفاضل والتباين في الأدوار الاجتماعية التي تتكون منها، فالأدوار الاجتماعية للمؤسسة الواحدة مثل المؤسسة الأسرية أو الاقتصادية أو السياسية لا تكون متشابهة وواحدة، بل مختلفة لكنها مكملة الواحدة للأخرى، فالدور الذي يحتله المهندس في المصنع يختلف عن الدور الاجتماعي الذي يحتله العامل إلا أنَّ دور المهندس مكمل لدور العامل في المصنع ولا يستطيع الاستغناء أي منهما الاستغناء عن الآخر وهكذا بقية الأدوار الأخرى في المؤسسات الاجتماعية المختلفة.

وعندما يشعر الأفراد بظروفهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتشابهة وبمشكلاتهم وطموحاتهم وأهدافهم المشتركة وبأحاسيسهم وشعورهم الاجتماعي الواحد، فإنَّ وعيهم الطبقي يظهر للعيان ويلعب الدور الكبير في تحديد شريحتهم أو طبقتهم الاجتماعية وهنا نستطيع تعريف الطبقة الاجتماعية بالمجموعة التي تتميز ظروفها عن غيرها باختلاف المستوى الاجتماعي الذي يتحدد بعوامل شتى منها الدخل والملكية والتخصص المهني والمستوى الثقافي والعلمي والمنطقة السكنية والحسب والنسب والمبادئ والأفكار والقيم والمصالح والأهداف الشخصية... الخ.

يتبع محاضرة قادمة